

اللاكلائي في السنة والذهبي في التاريخ والخطيب في شرف اصحاب الحديث: من طلب المال بالكيمياء أفسس ومن طلب الدين بالكلام تزندق . وفي رواية بشر بن الوليد زيادة : من تتبع غريب الحديث كذب . وكلام السلف في هذا كثير . والجمع بينه وبين مسلك علماء الخلف الذين اوغلوا في صناعة الكلام والجدل ان هذا يطلب لضرورة اقتناع الخصوم ورد شبه المنكرين والضرورة تقدر بقدرها وتختلف باختلاف الزمان وانواع الشبهات فمن العيب المذموم ان تعاد شبه المعتزلة والفلاسفة الاولين في دروس الكلام وكتبه وتعد من الفروض اللازمة وتترك شبه الفلاسفة المعاصرين وغيرهم من اعداء الدين تتلاعب بالعقول فلا يقدر الذين يتعلمون على طريقة الازهر ردها ولا فهمها بل يكتفون بتكفير من يسأل عنها وفقهم الله للعلم النافع لتجيا بهم هذه الامة

باب التوسل بتعليمه

﴿ الباب الثاني (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

(٢٦) من ارسم الى هيلانه في ٣٠ يوليو سنة - ١٨٥

أنا ايها المزيزة هيلانه اعرف فرط حبك لي وجميل انعطافك نحوي وأقدرها حق قدرها ولكني لست ممك فيما يخامر قلبك من الخاوف في شأن مستقبل « اميل » فاني وان كنت والده لا اري لي حقاً مجال من الاحوال في ايجاب ان يكون تلميذاً لي فمن ذا الذي يصح ان يتبجح بأنه قد وصل الى الحق المطلق وان حسنت منه النية في البحث عنه واعتقد أنه

يذوق المكروه من اجله . نعم انه ليؤلنى المآ شديداً ان اراه في مستقبل حياته مخالفاً لي في آرائى غير آخذ بمعتقداتى ولكنى اكون انا المخطئ الملموم في ذلك دونه لانه قد يكون سببه عدم حذق في اىصال افكارى الى نفسه او حكمه على هذه الافكار بما عسى ان يكون هو الحق فيها اغنى انها اغلاط عقل صادق في بحثه عن الصواب مخلص في تلمسه طريق الرشده .

على انه لا فائدة في الاشتغال بالمستقبل فان الذى يعيننا هو الوقت الحاضر .

تقولين ان اميل يحب للاستطلاع كثير المسئلة فابشرك ان هذه اماره حسنة على نجاحته ولكنى انصح لك انه اذا سالك عن شىء تجهلين حقيقته فليك ان تعترفى له بجهلك اعترافاً خالصاً من المواربة وان كان ذلك مخالفاً لما عليه معظم الوالدين ومعلمى المدارس الذين هم مصداق ماورد في الامثال « لكل فتى رثق ولكل مسئلة جواب » فكأنهم يتوهمون انه يكون لهم بهذا نوع من السلطان على عقول تلامذتهم وائت بحمد الله فى غنى عن التذرع بهذه التدريفة الخطرة لاىبات ولايتك على « اميل » اقول انها خطيرة ولاأحول عن وصفها بذلك فان فى تويد الطفل على اعتقاد ان لكل شىء معنى محققاً يمكن ان يتناوله من غيره بسهولة اخماداً لقوة البحث والتفقه ومدعاة للكسل لأنه متى سبق اليه الوهم بانه يوجد فى الناس علم كافل بازالة جميع الشكوك التى تعترض الذهن فى فهم معانى الاشياء لايجد موجباً لتكلف البحث والملاحظة واما اذا اعترفت « لاميل » بانك لم تعنى النظر فيما يسالك عنه امعاناً يكفى لابداء وايتك فيه فانك تكونين قد عجلت بتعليمه ان اصابة الحق هى ثمرة عمل الجاد ونتيجة بحثه وائى جواب يساوي هذه الموعظة ؟ .

ثم ليحذر الولدون والمعلمون ان يكون في ادعائهم لانفسهم نوعا من المصمة في العلم استتبار للغاية التي يسمون اليها . ذلك ان الناس اذا كشف له المستقبل بفتة ما يقع فيه اولئك المصروفون لعقله من الاغلاط ترعزع اعتقاده فيهم مرة واحدة وزالت من نفسه الثقة التي ارادوا ان يجعلوها محلا لها وليس ما اخشى مغبته على « اميل » من انواع الريب هو الخذر النافع الذي يكون فيمن تعلموا من صدرهم البحث في الامور وعذر التسليم بها قبل اتضاح وجه الحق فيها وانما الذي اخافه عليه هو مرض زوال الاعتقاد .

فما ينبغي التصريح به ان الصبغة الاعتقادية التي زارها في طريقة التعليم عندنا ناشئة من جميع مقومات اوضاعنا الاجتماعية فانه متى اعتبر ان القائمين على الدين وعلى السياسة قد فكروا في مصلحة الامة لزم بطريق البدهة ان طائفة من العلوم مقررة تنزل من سماء علام فيفرض على عقول الاحداث قبولها بلا نظر ولا مناقشة فانت تجدين في التعليم الديني اسراراً يتعاضى على عقل الانسان اكتشاهها واعمالاً وعادات ليس في مقدور احد من الناس تعبير شيء منها واحكاماً لا تقبل العرض على محك النظر بل نقيده قوة الادراك الى الابد فلا تجد سبيلاً الى الجولان فيها ^(١) واما التعليم السياسي فهيات ان يكون ما يليقه فيه الاستاذ على

(١) انما دعا اراهم لتوجيه هذا الانتقاد الى التعليم الديني كونه من غلاة اهل النظر وله ولا مثاله بعض العذر في هذا الانتقاد لما دخل على الاديان من الفساد مما دعى الى اختلاط الحق بالباطل والدين الحق لا يخالف النظر العقلي لان الاسلام يعلمنا ان اساس الدين العقل وما اخبر به الكتاب الالهى من امور الغيب ليس فيه شيء

تلاميذته اقل مما ذكر الزاماً لان الاستاذ لما كان اجيراً للحكومة كان بالضرورة صديقي يردد اصوات احكامها فيخ ينج لهذا الكلام الذي لو لم يكن مؤدياً الى استعباد النفس لما رأيت لي وجهاً في انتقاده وانما كان مؤدياً الى ذلك لانه بماله من الأثر في امارة عزيمة الناشئ ويحصر فائدة التعليم في مجرد تمرين الذائرة فوارحمتهاء لذلك المسكين الذي هو كالمبوضعة حملت من تواريج القرون الماضية وعلومها واقوال الثقات فيها ما ابهظها ففاقها عن الطيران على انه يندر والحق يقال ان يصل ارباب هذا الحصر والتنضيق النفسي الى تمام الفوز الذي كانوا يؤملونه من ورائه فان تأثير الزمان الذي يعيش فيه الطفل او ما يوجد في طبعه احياناً من المقاومة والمعارضة او ما يتلقاه من آراء اهله الذين يترابي بينهم يخلف في كثير من الاحوال ظنون القائمين على التعليم الرسمي ويأتي بعكس ما كان في حسابهم ولكن لا بد من الاعتراف بانه لا ينجو من وحدة هذ القلب الذي تصاغ فيه الاجيال الناشئة على الشكل المطلوب الا العدد القليل واما السواد الاعظم فان مدار تعلمه يكون على التسليم والاعتقاد والوقوف عند حد ما تلقاه عن معلمه الذي يبيد عليه ما اخذه عن اساتذته فالتربية في مثل هذه الاحوال سلاح ذو حدين يتسنى به استعباد العقل كما يتسنى به تحريره وصرجع الحكم في ذلك الى المصادفة والاتفاق وانى لن ارضى ان اكل مستقبل « اميل » الى قذفات اتفاق ومصادفات الحق والباطل وتتورها الحرية والاسترقاق ولو

ممنوع في نظر العقل ومن لم يصدق الا بما يراه لا يمكنه ان يثق بقول مؤرخ ولا طبيب ولا كيمائي ولا طبيعي اذا قالوا واكتشفوا شيئاً حتى يراه بعينه ويكتشفه بنفسه وذلك يدعو الى ان يكون كل انسان اجهد الجاهلين

أوتيت في ذلك انفس شيء في العالم كله.

على انى اعوذ بالله ان اجحد ما لا تار السلف من المزايا والفوائد الا ان فى الاخذ بهذه الآثار كما فى الاخذ بنورها من الامور حسناً وسطاً يصعب تمييزه فالطفل الذى لا يتلقى شيئاً من المجتمع الذى يعيش فيه يصير إما متوحشاً وإما احمق واما الرجل الذى يتلقى منه كل شيء بالتسليم مرتكناً على ثقته به مجتنباً مشقة النظر فيما تلقاه منه بدعوى ان من سبقوه قد كفوه مؤنة ذلك وكانوا اصح منه نظراً فانه لا يكون ابداً الا ضيف المقل مجبلاً بوقف نفسه على جميع ضروب الاستبعاد . ثم اعلمى ان معظم افلاطنا ومعتقداتنا الباطلة مبنى على آراء يتداولها الناس ويرون تسليمها واعتبارها حقائق معصومة من تطرق الباطل اليها اسهل عليهم بكثير من استقصائها واستجلاء الصواب فيها بنور العقل فمثل هذه الآراء تسري الى نفوسنا من اول نشأتها وينتهى امرها الى ان تكون من الامتزاج بها بحيث يلزم لاستئصالها فى المستقبل بذل جهد عظيم فى اعمال القوة الحلاكة والاستمانة بشيء من الاقدام والبسالة . نعم انه لمن الصعب جداً ان لا يلقى بنفس « اميل » شيء من تلك الافكار الفاسدة ولكن الذى يهمنى ان يكون ما يتصل به منها اقل ما يمكن وان يجد فى مستقبله من حرية نظره وسيلة لتمييزها والخلص منها .

وجلة القول ان طريقتك فى تربية « اميل » قد نالت من رضائى واستحسنائى اكل حظ ووقعت من قلبي اجل موقع فان التربية عمل ملاكته بذل النفس وقوامه الحب وانى اعرف من كبار الرجال من تأبهم الاحتراس والانتباه فى معاشره الاخصاء ومخاطبة الاصفياء فامثال هؤلاء

لا ينبغي ان يهد اليهم تربية الاحداث لانه يشترط فيمن يتولونها ان يكون فيهم من انبساط النفس ما يأخذ بقلوب الناشئين اليهم وان يكونوا من المحدثين فيها المبعوثين عليها بمض البواعث الفطرية فربي الطفل ومعلمه الحقيقي المتكامل لهذه الشروط انما هو امه .

ثم انى مستحسن كذلك ما رأته من ادامة الدرس والمطالعة لتيسر لك القيام بهذا الغرض الذى قدراك ولكنى اعظك بان تجعلى هذه الحقيقة دائماً نصب عينيك ألا وهى : ليس اول شرط فى التربية ان يكون المربي عالماً وانما هو ان ينسى جميع ما تعلمه ليعود الى تعلمه مرة اخرى مع الطفل اه

﴿ المرأة الجديدة ﴾

كتاب جديد لحضرة العالم الفاضل قاسم بك امين المستشار فى محكمة الاستئناف بمصر جعله تمة وايضاحاً لمباحث كتاب (تحرير المرأة) الذى نشر فى العام الماضى فكان له من التأثير ما لم يهد لكتاب سواه ورداً على الكتاب . الذين اتقدوا ذلك الكتاب . وهو فى آياته الباهرة . وأساليبه الساحرة . مع الذى تقدمه كالصنوان . وفرسي الرهان . ولاغرو فهما فائضان عن ذلك ينبوع المذب . وفرعان من دوح ذلك النبع أو المذب (نوعان من الشجر) ولذلك رأينا لهذا من التأثير مثل ما كان لأخيه . فقد اشغلت الاقلام بمدحه وبالطعن فيه . وكل اناء ينضح بما فيه .

فن المقرظين صاحب الخطوفة مصطفى باشا فهى رئيس مجلس النظار واصحاب الجرائد اليومية المعتبرة ومن المنتقدين باعتدال بعض اساتذة